



اسم المقال: استخدام الفضاء الإلكتروني وتأثيره في العلاقات الدولية "الشرق الأوسط" أنموذجاً

اسم الكاتب: أ.د. حميد حمد السعدون

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/7066>

تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 01:10 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دولية جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.



{ استخدام الفضاء الالكتروني
وتأثيره في العلاقات الدولية
" الشرق الاوسط " انموذجاً }

أ. د.

حميد حمد السعدون (*)

Hhalsadoon@ yahoo.com

الملخص :

الفضاء الالكتروني احد الأشكال الجديدة لمفهوم القوة والتعبير عن مفرداتها بما يمكن المقتدر فيه من استخدامه في علاقاته الدولية بطريقة تضمن مصالحه وأمنه القومي، ويجعله احد الفاعلين الأساسيين في مجتمع الدول الصراعى، لاسيما وان هذا الشكل بتقنياته العالية غير متوفر عند جميع الفاعلين وهذا ما يعطي ارجحية لمن هو متمكن منه، والفضاء الالكتروني، معرفة، والمعرفة باتت في الوقت الحاضر تعبيراً واضحاً وصريحاً عن إمكانيات القوة.

المقدمة

يعيش العالم اليوم سباقاً دائماً ومتواصلاً مع الجديد من العلم والمعرفة وبطريقة تكاد تكون انفجارية ، لاسيما وان العلم لم يعد له حدود أو نهايات محددة يقف عندها الانسان ويعدها المثابة الاخيرة . فالجديد والمبتكر من انواع العلم والمعرفة ، باتت حالة يومية بإمكانها ان تقدم لحياة الناس الشيء الكثير الذي يستطيع ان يوظفه بما يلائم حياته والطرق والاساليب الميسرة التي تمكنه من التعامل مع التحديات الحياتية والزمانية التي تواجهه ، متطلعاً من خلال تصديه لتلك المصاعب بتوظيف ما تحت يديه من علم ومعرفة ، لسعادة وامن ورفاهية المجتمع الذي يعيش فيه . والانسان وهذا ماتوضحه كل الديانات السماوية ، ارقى ابداعات الله وخليفته في ارضه ومنفذ غايته في السعادة والأمن والايمان ، يبحث الخطى دوماً نحو الافضل بما يجعله

(*) مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية/ جامعة بغداد .

يجتهد الى مقارنة الخالق سبحانه وتعالى في رقيه وعلاه ، متكماً ومستنداً إلى ارث من سبقوه من اجيال العلماء والمعرفيين الذين سعوا لترجمة كلمة الله في اجمل واحلى صورها ، دون ان ننسى ان الحياة ومستجداتها في تبدل دائم ، وهذا مايستوجب منه بذل الجهد المتوازي والارادة الالهية .

وجديد العلم اليوم ، ما يطلق عليه الفضاء الالكتروني او السماوات المفتوحة ، ولأن هذا الجديد والمذهل له اكثر من استخدام ، فقد باتت استخدامات من يملكه ويتحكم فيه ، شراً كان ام خيراً حالة يومية . ولأن عالمنا المعاصر كما يصفه " شون لاي " رئيس الوزراء الصيني الاشهر محكوم " بغوضى في كل شيء " فقد باتت قدرات التملك لهذا العلم ، تتجه في الاغلب نحو ايقاع الاذى بالآخر ، ولأن الانسان وهذا مايؤسف له ، يتعلم من افعال الشر والايذاء للمقابل اكثر من افعال الخير والسلام . ولذلك اصبحت تقنيات الفضاء الالكتروني في الوقت الحاضر ، ملمح من ملامح القوة التي يمتلكها طرف دون آخر ، وبما يمكنه من فرض ارادته وفقاً لمصالحه واولوياته . وهذا البحث قراءة استقرائية ذات منحى تطبيقي لما يحصل في استخدامات هذا العلم بين من يمتلك ناصيته وبين من يجبو على الطريق فيه ، مما استوجب منا ان نطل على ما يحصل فيه من خلال المحاور الآتية :

الاول: استكشاف اهمية الفضاء الالكتروني والمنافسات التي تحصلت في مجاله من اجل تنفيذ السياسات ذات الطبيعة الاستراتيجية.

والثاني : تأثيرات هذا العلم المتجدد في طبيعته على شكل ومسارات العلاقات الدولية وتنفيذها في البيئة الدولية الجديدة .

والثالث : التأثيرات والانعكاسات المتحصلة بين دول منطقة الشرق الاوسط وبين القوى النافذة في عالم السياسة الدولية .

المحور الأول : اهمية الفضاء الالكتروني :

يوم حلق القمر الصناعي السوفيتي "سبوتنيك" في تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٧ متجهاً نحو الفضاء ، فإنه دشّن عصراً جديداً من العلم والتقدم والخيارات الافضل، للعلم وللحياة الانسانية، كونه فتح مسالكاً جديدة في الخيارات الانسانية وقدرتها على التعامل مع الجديد من العلم والمعرفة. فعصر "سبوتنيك" أرخ للعصر الانساني بين "قبل" و"بعد" مرحلته ازاء ما قدمه من

اسهامات جليلة للحياة البشرية، التي استطاعت توظيف الابتكارات والاختراعات بطريقة مفتوحة نحو الافضل، مع ماتضيفه التجربة من انتقالات نوعية نحو الاحسن .

وعالمنا اليوم يشهد اختراعات وابتكارات تكاد ان لاتلاحق الا من قبل الدول العظمى والكبرى لكثرتها ولتقنيته المتطورة ، وهذا ما منحها ارجحية متميزة في التعامل مع الاخرين وعلى كافة الصعد. فالعلم والمعرفة في وقتنا الحاضر ليستا ترفاً فكرياً او استهلاكياً ، بقدر ماهما قوة . فمن يملك العلم والمعرفة، يملك القوة التي تمنحه القدرة المتميزة في التأثير على القضايا العالمية كافة، وقطعاً ان من يمتلك القوة التي توفرت بالعلم والمعرفة سيسعى في الوقت ذاته أن يميز مصالحه واهتماماته ويضعها في المقام الاول. عليه فأن المعرفة ليست ابتكاراً عالمياً جديداً فحسب، بل انها مفردات قوة لمن يمتلكها.

والفضاء الالكتروني، احد مخرجات المعلوماتية التي يتعامل بها المجتمع الدولي بكثافة في شكل التطبيقات التي تتحقق في التعامل بين الدول، لذلك فالمرور على مفهوم المعلوماتية، يشكل مدخلاً اساسياً للذهاب بعيداً في تلمس مايقفقه الفضاء الالكتروني من تأثير في القرار السياسي سواء " على الخصم ام على الحياة الداخلية له .

المعلوماتية :

يعد هذا المفهوم من المفاهيم المعاصرة التي دخلت على حياة الانسان واستوجب التعامل معها، فهي مزيج من منظومتي الاتصال والحاسوب ليعطي ناتجاً معرفياً متكاملأ يوفر المعرفة ويسهل الوصول اليها باسرع وقت ممكن ، ويتعامل مع الذكاء البشري ليشكل ذكاءً مشتركاً بين الانسان وما صنع . ويدور هذا المصطلح في فضاء واسع ورحب من الحقوق والتخصصات المتنوعة ويرتبط بابعاد وعلاقات ومداخل متباينة ، منها ماهو واضح ومرئي وملمس ، ومنها ماهو مؤثر وحيوي ، لكنه غير مرئي وهذا مايجعله مفهوما غير واضح ⁽¹⁾ .

يولد هذا المصطلح انطباعاً بانه المعلومة والحوسبة " information and computing " قبل كل شيء، كما لايمكننا ان نتجاهل ان المعلوماتية هي حوسبة الكترونية للمعلومات، وبناء

¹ - د. أزر ناجي الحساني، المعلوماتية واثرا على المركزية واللامركزية في ظل السلطة البيروقراطية، جامعة النهرين - بغداد ، مجلة قضايا سياسية ، العددان (٢٧ - ٢٨) السنة ٢٠١٢ ، ص : ١٨٨ .

آلي لها ، ويراها البعض انها انتاج لقيمة مضافة عن طريق حوسبة البيانات في حالات تقنية وانشطة تطبيقية ومختلفة وعامة ، ومن ثم هي اوسع من كونها حوسبة للمعلومات او استخدام الحاسوب لانتاج المعلومات فقط ^(١).

ويعرف علم المعلوماتية ، على انه حقل من حقول المعرفة المتداخلة التخصصات ، يعنى بانتاج المعلومات وجمعها وتخزينها واستخراجها ونشرها ، او تعميمها للمعرفة الموثقة ، كما انها تعني ملاحقة التغييرات والتطورات التي ابتكرها الانسان او تحقق من اكتشافها في العلم الحديث ، لاسيما وان الثورة المعلوماتية مع استحداث وتطوير اجهزة الحاسوب التي قلبت حياتنا وحولتها الى تطبيقات من خلال تجهيز الحاسبات والاجهزة الالكترونية الاخرى المسيطرة على العالم ^(٢).

كما تعني الثورة المعلوماتية الوفرة في المعلومات وتراكمها بشكل سريع واتاحتها للاستعمال عبر اوعية المعلومات وأهمها الحاسبات الآلية ^(٣) . كما انها امتزاج بين الحاسوب وتقنيات الاتصالات ، كون ان تقانة المعلومات هي صناعة الالكترونيات الراسخة ^(٤) . والثورة المعلوماتية هي ذلك الانفجار المعرفي الضخم المتمثل بالكم الهائل من المعرفة في اشكال وتخصصات ملفات عديدة ^(٥).

ازاء ذلك نجد ان الثورة المعلوماتية ، هي نتاج طبيعي يعبر عن مراحل التطور الحضاري والانساني والذي هو في الوقت ذاته ، مزج لمدخلات تمثلت في الثورات العلمية التي سبقته والتي تكون سلسلة مستمرة تكمل بعضها بعضاً لولادة مرحلة جديدة . مع تأكيدنا ان الثورة المعلوماتية ليست آخر ما وصل اليه الانسان في مسيرته المستمرة من البحث والتطوير ، بل ان الجديد قادم

١ - سغد غالب ياسين ، المعلوماتية وادارة المعرفة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٦٠) لسنة ٢٠٠٦ ، بيروت ، ص: ٢٦ .

2- **www.Perial.Com** issues ينظر على الرابط 18. 5. 2004 **Information Revolution**

٣ - عبد الرحمن عبد الله الرهيان ، الامن والعولمة ، اكااديمية نايف العربية للعلوم الامنية - الرياض ، مجلة الامن والحياة ، العدد(٩٣) لسنة ١٩٩٨ ، ص: ٤٩ .

٤ - د. ستار بدر سدخان ، اثر ثورة المعلومات والاتصالات في ظل العولمة على الاقتصاد العربي ، بيت الحكمة - بغداد ٢٠٠٢ ، ص : ٩٠ .

٥ - د. محمود علم الدين ، ثورة المعلومات ووسائل الاتصال : التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٢٣) القاهرة ، ص : ١٠٢ .

للمحالة ، وهو ما يجعل المجتمعات المختلفة في تحد دائم نحو التطور والانجاز الافضل اذا كانت راغبة في ان تكون جزءاً فاعلاً في الحياة والانشطة التي يقدمها العلم في كل لحظة . بل ان ذلك التطور يبدو اكثر اهمية في موضوع الامن القومي وصياغة الاستراتيجيات ، والتي باتت المجتمعات المتقدمة توليه الاهتمام والرعاية الاكثر اهتماماً ، كونه يشكل اساساً وضرورة لاستمرارية حياة مجتمعاتها .

الحرب الالكترونية :

ان توصيف الصراعات والصدامات القادمة بين المجتمعات المختلفة بأنها حرب " الالكترونية " يأتي منسجماً والتقدم المنجز في مجالات العلم والمعرفة التي تطوعها المجتمعات الاكثر قدرة ، ازاء خصومها ومنافسيها . فتوصيف هذا الامر بانه " حرب " امر له اكثر من دلالة ، لاسيما وان الصراعات المختلفة والمتعددة التي يشهدها العالم باتت قرينة في ظل الاستفراد الامريكي بالمرسح السياسي الدولي منذ تفكك وسقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ ، مع ما يقابله من نزوع انساني متعدد الجهات لتحجيم هذا الانفراد ، واذا امكن الغاؤه ، خدمة للمجتمع الانساني ازاء العدوانية والغطرسة والتكبر والانفراد الذي طبع مرحلة الاحادية القطبية " Unipolarity " التي تسود العالم منذ ذلك الوقت ^(١) .

فرغم تخفيف حدة القلق من تهديدات الجماعات " الارهابية ، بفضل جهود المخابرات والاجهزة الخاصة وازعاج هجمات الطائرات المسيرة ضد مقرات واوكار هؤلاء المسلحين ، لكن المخاوف من تعرض المجتمعات الغربية الى هجمات الكترونية قد ازدادت . ولذلك لا يفوت القادة السياسيون والعسكريون فرصة للاعلان عن ان الحرب الالكترونية وشيكة الحدوث . فقد تحدث وزير الدفاع الامريكي السابق " ليون بانيتا " عن " بيرل هاربر الكتروني " بينما ذكر مسؤول امريكي آخر " ان هجوماً الكترونياً على امريكا سيجعل هجمات ١١ ايلول - ٢٠٠١ تبدو حفلة شاي ... وهي مسألة وقت لا أكثر " ^(٢) .

١ - د. حميد حمد السعدون " الفوضى الامريكية " دراسة في الافكار والسياسة الخارجية " العراق نموذجاً " ط ١ ، دار ميزوبوتاميا . بغداد ٢٠١٣ ، ص : ١٨٩ .

2- David farls , Dissent and Revolution in a digital Age : social media Blogging and Activism in Egypt , London: I.B.Tauris 2013, p: 127 .

فالتقدم العلمي المتزايد في هذا الجانب مكن ان تؤدي نقرات على " الفأرة mouse " ان تفجر المصافي النفطية وتعطل شبكات الكهرباء او خداع مراقبي الحركة الجوية ، من خلال العدد المتزايد من هذه الهجمات المجهولة على مؤسسات الحكومة او الشركات ، ويعتقد ان هذه الهجمات قد توفرت لها تلك القدرة من خلال سرقتها او اختراقها او تسللها لبرامج وخطط الشبكة الوطنية للاتصالات ، والتي تحققت من خلال جهد وتكاليف عالية الثمن على شكل ابحاث وتطوير .

علماء " ان الكثير من هذه الهجمات ذات طبيعة اجرامية بحتة ، ولكن الهجمات الاكثر تعقيداً هي في الغالب نتاج دول ، وتنفذ اما بشكل مباشر او عن طريق وكلاء بحيث يصعب القاء اللوم على جهة معينة في ذلك .^(١) وفي هذا النمط من الهجمات فان الصين هي المتهم الاول الى حد بعيد ، كونها توظف مهندسي البرمجيات الموهوبين وتعقد عليهم ، غايتها في ذلك اختراق الشبكات المعلوماتية لأهم الشركات التكنولوجية في العالم ، وهي في الغالب شركات امريكية ، للاطلاع على الجديد من الابحاث والابتكارات التي تتمكن من خلالها من تطوير قدراتها في كافة المجالات التي تخدم اهدافها الاستراتيجية^(٢) .

كما ان روسيا لم تتأخر في الانغماس في هذه الحرب الصامتة لاسيما وانها تتطلع الى استعادة دورها الدولي الذي كانت تضطلع به يوم كان الاتحاد السوفيتي قائماً ، وهذا مامنحها الاطلالة على ما يخطط بالضد منها ، وتحديدأ في مناطق نفوذها السابقة ، مما درأ عنها الكثير من المخاطر . ومؤخراً وتحديدأ بعد عام ٢٠٠٩ فقد دخلت ايران على اللعبة ، بعد ان عانت ما عانته من هذه الهجمات اثناء وبعيد انتخابات ايران الرئاسية عام ٢٠٠٩ والتي جاءت بـ " محمود احمدي نجاد " رئيساً للبلاد . ويشتهه بان ايران كانت مصدرأ لفايروس " شامون " الذي عطل الاف الحاسبات في شركة " ارامكو " السعودية وشركة " راس غاز " القطرية نهاية عام ٢٠١٢ .

١ - د. حميد حمد السعدون ، الحرب الالكترونية جبهة قتال جديدة بين ايران وخصومها ، اوراق دولية ، العدد (٢١٨) تشرين الأول ٢٠١٢ ، ص:٢.

٢ Jeffrey A.Bader , Obama and china Rise : An insiders Account of Americas Asia strategy , Washington DC: Bookings institution press 2012 , p: 94.

على الجانب الآخر فان الولايات المتحدة وحلفاءها كانوا المبادرين في تدشين هذه الحرب ، اذ طورت فايروس " ستوكسنت stuxnet " عام ٢٠١٠ والمصمم لتحطيم اجهزة الطرد المركزي في محطة "ناتناز" الايرانية لتخصيب اليورانيوم ، ثم اردفوه بفايروس " فليم Flem " الذي صمم لمهاجمة ايران عبر اصابة اجهزة الحاسوب في وزارة نفطها^(١) غايتهم في ذلك تأخير البرنامج العلمي الايراني في هذا الجانب وارياكه وتشتيت جهده، مع ما يصاحب ذلك من اختراق امني خطير في الحلقات المركزية للمؤسسات الايرانية ، وبما يجعلها مكشوفة امام الخصم المنافس . ويقول احد مدراء شركة " ستونسوفت " الامنية للحاسبات ان "جميع الحكومات في الغرب تفتقر الى فهم ستراتيحي للحرب الالكترونية، ولذلك ورغم وفرة الاسئلة فان الاجوبة قليلة. لأنه ليس واضحاً حجم المعلومات الحساسة عن التهديدات او نقاط الضعف التي يجب على الدوائر الحكومية مشاركتها مع القطاع الخاص المهمة للأمن الوطني ... ٩٨% تقريباً من نقاط الضعف في برامج الكمبيوتر واسعة الانتشار والتي يستغلها القرصنة ، هي برامجيات مصنوعة في الولايات المتحدة الامريكية، ... ما يثير الجدل في التوازن بين الدفاع والهجوم " ^(٢) .

ويعزز هذا الرأي ما يشير اليه الجنرال "كيث الكسندر" رئيس قيادة الحرب الالكترونية في وكالة الأمن القومي الامريكية بالقول بأن "المهاجمين في الحرب الالكترونية لديهم الافضلية ..، كما ان تفوق الولايات المتحدة الامريكية في القدرات الهجومية الالكترونية على بقية دول العالم لا ينعكس في الجانب الدفاعي حيث نالت دفاعاتها درجة (٣) من (١٠) .^(٣) في حين تتحدث مؤسسة " راند Rand " للدراسات والابحاث بان " الحرب الالكترونية لا يقف اذها على الناس او تدمير المعدات مباشرة مع بعض الاستثناءات ، بل انها تتسبب بالارياك والتشوش والاحباط ، كون هذه الحرب تؤدي وظيفة مساندة لاشكال الحروب الاخرى^(٤) .

١ - حميد حمد السعدون ، الحرب الالكترونية .. . ، مصدر سابق ، ص : ٢ .

٢ - مقال في صحيفة " Economist " اللندنية والمنشور بعد ترجمته في صحيفة الصباح / بغداد تحت عنوان " الحرب الالكترونية تهديد وشيك " في ٨ - ٢ - ٢٠١٢ .

٣ - محمد ابورمان ، تنظيم القاعدة والانترنت : تدشين الجيل الثالث من الجهاديين ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (١٨٠) ، ابريل ٢٠١٠ ، ص: ٨٦ - ٨٧ .

٤ - رفعت شمس ، الصحافة الالكترونية والامن الثقافي والمعلوماتي، ينظر اليه على الموقع الالكتروني

امام ذلك لا بد ان نشير الى وجود اربع مخاوف الكترونية تؤدي دوراً اساسياً في هذه الحرب الصامتة وذات طبيعة تخادمية للهدف الاستراتيجي، وهي:

١. الحرب الالكترونية الاستراتيجية " وهي الهجمات المباشرة على البنى التحتية المدنية للخصم " .

٢. التجسس الالكتروني .

٣. الارهاب الالكتروني .

٤. التشويش الالكتروني على غرار هجمات الحرمان من الخدمات التي تتعرض لها المواقع الالكترونية للحكومة والمصارف ومؤسسات الماء والكهرباء ... الخ^(١) .

ومع القبول بامكانية اطلاق الهجمات الالكترونية من اي مكان ، فمن الصعوبة بمكان تحديد الجهة المسؤولة عنها ، لأن ذلك يعتمد على السياق والدافع وتقييم القدرات والتكنولوجيا المستخدمة . وهذا احد الاسباب التي تدفع الدول المتلقية للهجمات الالكترونية الى الرد بالمثل ، في حين ان الدول التي تفتقر الى تلك الامكانيات لقرها او تخلفها التقني ، قد تهاجم دولاً اخرى لا تمتلك انواع الاهداف المعرضة لهجوم الكتروني انتقامي ، ومثل ذلك قد يوضح شكل الهجمات المتبادلة وقدرتها على التأثير في المنافس وخططه لأن " الحرب القادمة ليست من نمط حروب العالم الصناعي التي اعتمدت على الحشد الهائل للقوات والاليات الميكانيكية والمدرعة ، وانما على الذكاء الصناعي لهذه القوات ، أي على الثورة العلمية لأجهزة المعلومات والاتصالات والعقول الالكترونية والاقمار الصناعية واجهزة الاستشعار والانذار المبكر " ^(٢) .

وتزداد المضاعف اكثر في هذه الحرب الصامتة عندما يتعلق الأمر بالسرقة او تسريب البيانات والمعلومات ، وهو ما يسمى بالتجسس الالكتروني ، حيث يعد نهب المؤسسات الغربية لاغراض البحث فائق التكنولوجيا والملكية الفكرية الاخرى هدفاً مغرباً لكثير من الدول ، وفي المقدمة منها الصين وروسيا. ففي عام ٢٠٠٩ سرق قراصنة من وكالة مخابرات اجنبية مايقدر

¹ - M.G.Mulen , Jiont operations , Joint publications 1 , doctrine for the armed forces of the Ubited states, August 2011, p: 12 – 13 .

² - , op.cit, p: 24

بـ" ٢٤ " الف ملف سري من شركة "لوكهيد مارتن" الامريكية للصناعات العسكرية مما اتاح لهم من التحسس على الاجتماعات الرقمية والنقاشات التقنية ، وجمع معلومات عن المتحسسات وانظمة الكمبيوتر وتكنولوجيا التسلسل للمقاتلة الامريكية " F35 " (١) . وقد تعقب المحققون عمليات الاختراق بدرجة عالية من الدقة وصولاً الى عناوين بروتوكولات انترنيت وبصمات رقمية صينية تم استخدامها لهجمات وقعت في الماضي ، وبعد اقل من سنتين على ذلك الاختراق كشفت الصين عن اولي مقاتلاتها المتسللة " G20 " (٢) .

ان اكثر ماتتعرض له شبكة المعلومات والاتصالات الفائقة الدقة الغربية وتحديدًا الامريكية منها، من هجمات "قرصنة" او "اختراق" او "تسلسل" يأتي في معظمه - حسب الادعاء الامريكي - من قبل الصين، الأمر الذي دعا الولايات المتحدة الامريكية الى الاعلان عنه وبيان مخاطره المستقبلية ، كونه يتجه لقلب المعادلة الامنية والاقتصادية بين البلدين ، فضلاً عن نشاطه في سرقة اسرار التجارة والسلاح والتقنيات الدقيقة وكذلك المعلومات السرية المتعلقة بمجال الاعلام ، هذا غير مايشكله من مخاطر على الامن القومي الامريكي مما يؤزم مستقبل العلاقات الدولية ويدفعها نحو ولوج وسائل العنف والتدمير والاختراق المتبادل (٣) .

وازاء الانكار الصيني لتلك الوقائع ، فقد اتجه الطرفان لتنظيم مجموعة عمل بشأن الفضاء الالكتروني ، من خلال اللقاء المباشر بين الرئيس الامريكي - اوباما - والرئيس الصيني والذي جرى في واشنطن في منتصف مايس / ايار ٢٠١٣ كانت الغاية منه ، فك التداخل والاختراق والاشتباك الحاصل، بما يعيد للعلاقات بين البلدين طابعها السابق المتسم بالتعاون ، وهذا ما اشار اليه وزير الخارجية الامريكي " جون كيري بالقول" بأن امن الفضاء الالكتروني يؤثر على القطاع المالي وعلى البنوك وعلى التعاملات المالية ويتأثر كل جانب من جوانب الدول في

Roger N. Mcdermott, Russias conventional armed forces the Georgian war, spring 2009, p: 4-5 - 1

٢ - مقال صحيفة " Economist " مصدر سابق .

٣ - جمال سند السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية من القبلية الى الفيسبوك ، ط ١ ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ٢٠١٣ ، ص : ١٠٨ .

العصور الحديثة بالفضاء الإلكتروني الذي يربط وبشكل واضح بيننا . ولكل دولة مصلحة في حماية شعبها وحماية حقوقها وحماية بنيتها التحتية " (١) .

المحور الثاني :- تأثيرات الفضاء الإلكتروني في العلاقات الدولية

تتأثر افعال وتحركات المكونات السياسية المعبر عنها بمفهوم الدولة ، في نشاطاتها المتعددة بالعديد من المتغيرات الكونية والتكنولوجية المتطورة ، التي تتفاعل سلباً أو إيجاباً في حركتها الصراعية في المجتمع الدولي ، وهذا ما يبرز الجانب التقني والمعلوماتي ضمن الموجات المتحددة للتطور التكنولوجي والتقني كفاعل مهم في تغيير استراتيجيات العمل السياسي بشقيه العنيف والناعم ، فضلاً عن ان الفضاء الإلكتروني المفتوح ساحة بكر للاداء السياسي المرتبط بالهدف الاستراتيجي للدولة وبما يعبر عن قدرتها واجراءاتها المؤثرة على الخصم .

ان الفضاء الإلكتروني المتسم بالانتشار الفائق والسيولة ، وقوامه شبكات الانترنت ومئات الملايين من الاجهزة التي تربطها بالمؤسسات والشركات التي تقوم على هذه الشبكة وترتبط بها والخبرات التي يفرزها ، قد خلق واقعاً انسانياً جديداً ، يمثل تحدياً للنظرية المعاصرة في العلاقات الدولية ، وكذلك على مستوى السياسات والممارسات .

تمثلت هذه التحديات في عناصر الوقت وقدرة التكنولوجيا على الاختراق والارتباط والتشبيك ، وهذا ما ادى لظهور السياسات الإلكترونية ، ومثل هذا التطور يشير الى التداخل بين واقعين ، يتمثل الاول : في السياسة بمفهوم القوة القادرة على احداث التأثير بين الفواعل ، أي تحديد من يملك القدرة على اتخاذ القرارات التي تعبر عن ارادته وحدود هذه القدرة ، والثاني : يشير الى مجال جديد من التفاعلات في المجال الانساني بكل ما تحمله من شروط وتنافس (٢) .

ان استكشاف اوجه تأثير السياسات الإلكترونية الصاعدة في العلاقات الدولية والبدائل المستقبلية لهذا التأثير ، مع السعي الى وضع اسس نظرية علاقات دولية جديدة نابعة من القضايا التي يطرحها الفضاء الإلكتروني ، امور باتت تم جميع المعنيين ، لان ذلك له اوجه متعددة في

١ - امريكا والصين تتفقان على حماية الفضاء الإلكتروني ، صحيفة الصباح - بغداد ، العدد (٢٨٠٠) في ١٥/٤/٢٠١٣ .
2 - in International Relations , Cambridge MIT press 2012 , p:116 Nazli choucri , cyber politics

حقل السياسة الدولية في اشكاله الصراعية او التعاونية ، ومستكشفات الاطار المستقبلي لهذه العلاقات ، مع مراعاة الانتقالات المعرفية المتجددة .

ان اجهزة الحاسوب المرتبطة بالاقمار الصناعية ، والموصولة بشبكة الانترنت التفاعلية ، بإمكانها ان تؤثر وتعطل وتعيق الكثير من الاجراءات والاشكال التنفيذية عند الخصم او المنافس ، وان حصول ذلك معناه ان من يمتلك القدرة على التعامل مع الجديد في ساحة الفضاء الالكتروني، يضيف لرصيده السياسي والمعنوي الشيء الكثير والمؤثر في الاجراءات المقابلة التي يقدم عليها المنافس⁽¹⁾ اي بمعنى اخر، ان شكل ومضمون العلاقات الدولية، قد باتت ملزمة ان تتكيف مع الجديد من اشكال القوة الضاغطة على ادائها السياسي .

ان تطور استخدام الفضاء الالكتروني بكافة امكاناته، من خلال تنويع وحسن استخدام وسائل ثورة المعلومات في الوقت الحاضر، يشكل ركناً مهماً ومؤثراً على قدرة الفاعل وامكاناته التي يستخدمها، والتي تمكنه من تمرير او قبول بعض او - كل - مشاريعه السياسية التي قد تتطابق مع الفاعلين، مع ضرورة فحص وتدقيق ادواته المستخدمة مع ما يحيط بتلك القدرة من مناخ سياسي دولي ملائم، وهذا يستلزم وجود قيادات خلاقة قادرة على صنع السياسات وليس تنفيذها فقط .

فوقائق الثورة العلمية التقنية وثورة الاتصالات والمواصلات وتكنولوجيا الاعلام والمعلومات والطفرة الرقمية "الديجيتال" وما انجزته البشرية من علوم وتقدم وجمال وابداع وحدثة، يستوجب على ابناء العصر ان يتكيفوا مع ما يقدمه لغرض استثمار تلك العطاءات العلمية بما يخدم الحياة البشرية⁽²⁾ . والفضاء الالكتروني وبحكم عصر الحداثة له اكثر من تأثير في طبيعة ومسار العلاقات الدولية، كونه قرب المسافات وتداخل في الانماط الحياتية التي يعيشها المجتمع الدولي، ازاء ما يقدمه من خدمة سهلة ورخيصة للمتداولين، دون ان ننسى ان حجابات الستار والتخندق والانفرادية لم تعد ممكنة في هذا العصر العولمي بحكم تداخل الحاجات الانسانية مع بعضها،

¹ - Jeffrey A.Bader, op.cit,p: 126

² - سالم توفيق النجفي ، اقتصاد العولمة : مقاربات اقتصادية للرأسمالية وما بعدها ، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت ٢٠١٠ ، ص : ١٣٤ .

حيث ادرك العالم اهمية الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ودورها في تطوير المجتمعات ، وتحسين واقعها الاقتصادي والعلمي والثقافي والصحي ، حيث شهد العالم تحولاً كبيراً وملحوظاً في تقنية المعلومات . وما يميز السنوات الاخيرة التطور السريع في هذه المجالات حتى انما اصبحت مقياساً لتقدم الامم والمجتمعات في مختلف ارجاء العالم ، الامر الذي دفع الكثير من الدول لوضع خطط وبرامج استراتيجية لتطوير واقع الاتصالات والتقنيات الحديثة بالاعتماد على الكفاءات المحلية وخبرات الدول المتقدمة بالحقا بركب العالم المتطور^(١) .

ان العلاقة بين الواقع الافتراضي والواقع الحركي للنظام الدولي ، يدفع من يمتلك القدرة الى التوجه نحو الاستقطاب الالكتروني ، كونه نمطاً جديداً لتفاعلات العلاقات الدولية ، من قبيل كثافة الولوج الى الفضاء الالكتروني والى أي مدى تتوافق النظرة الالكترونية للنظام الدولي مع المنظور الواقعي الحركي لهذا النظام^(٢) .

هذه الوضعية الهادفة للتوافق ، اشرت ان صراعات الفضاء الالكتروني على المستوى الدولي ، يمكن ان تنقسم الى الاشكال الآتية :

الاول: يدور حول التحكم في الفضاء الالكتروني الدولي .

الثاني : حول تحويل القوة الافتراضية الى مميزات استراتيجية .

الثالث : متعلق بالصراعات الالكترونية التي تهدد الأمن القومي للدول ذات السيادة^(٣) .

وهنا تبرز ظواهر جديدة مثل عسكرة الفضاء الالكتروني وشن الحرب الالكترونية والاختطارات الالكترونية على البنية التحتية للدولة . لاسيما وان الدول القادرة والتمكنة تقنياً توجهت نحو الاستثمار في هذا الجانب ، تحسباً واستباقاً من مخططات الآخرين . ولعل في مافعلته الولايات المتحدة في اطلاقها المركبة التي تحمل اسم " X-37 Bo TV " في ابريل / نيسان ٢٠١٠ ، يشكل جزء من مشروع لعمليات عسكرية في الفضاء او لعسكرة الفضاء حيث ان

١ - فرانيسكو خافيير كاريللو " محرر " مدن المعرفة : المداخل والخبرات والرؤى ، ترجمة خالد علي يوسف ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، الكويت ٢٠١١ ، ص : ١٧٢ .

2 - Nazli choucri , op. cit, p: 194

3 - op. cit, p:208

هذه المركبة ، كما يشير المختصون بهذا الشأن، بإمكانها ان تسقط الاقمار الاصطناعية المعادية من خلال ما تملكه من قدرات جديدة ، او ان تكون أداة قادرة للرد السريع ضد الخصوم ، فضلاً عما تتصف به من مناورة جيدة واستثنائية ، مما يجنبها امكانية اسقاطها من خلال انظمة الصواريخ الموجهة^(١) .

هذه الظواهر في مجملها ، تعد انقلاباً في موازين العلاقات الدولية ، اذ كثيراً ما رأنا ان التكنولوجيا وما يتعلق بها من ظواهر اتصالية من السياسات الدنيا ، باتت ازاء ما يحصل وينفذ ، تهدد السياسات العليا للدول ، لاسيما بعد اتساع مراكز اتخاذ القرار فيه لتتجاوزها وتشمل مؤسسات وهيئات من غير الدول . والاكيد ان تعدد الفاعلين الدوليين وتنوعهم ، قد خلق حالة من تغيير قواعد اللعبة الدولية من اجل حيازة القوة وممارستها^(٢) .

ومع كل ما يحدث من تغيرات عميقة ، فما زالت الدولة رغم كل تدخلات العولمة وتغيرات الواقع الدولي ، أهم الفواعل في متساويات تحليل الواقع الدولي . فضلاً عن عناصر القوة التقليدية المتمثلة في القدرات الاقتصادية والعسكرية والموارد والسكان ، اصبحت القوة التكنولوجية احد عوامل مضاعفة قوة وفاعلية الدولة في النظام الدولي . والدول التي تحسن دمج هذه القوة الذكية في اجهزة الدولة واستخدامها في تفعيل وجودها على الساحة الدولية ، فضلاً عن الاستفادة من موارد العالم ، تصبح بهذه الامكانية قادرة على رعاية مصالحها واهدافها بعيداً عن المتسللين او المنافسين^(٣) .

ومن الامور ذات الدلالة ، ان الفضاء الالكتروني ، عمل على تقوية فاعلية الفرد في مواجهة الدولة ، حيث وصلت هذه الفاعلية التي تقوم اساساً على اتاحة وصول الافراد الى المعلومات والمعرفة الى الدرجة التي لا يمكن للدولة تجاهلها . فقد وضعت تكنولوجيا الافراد الاعتياديين من المستخدمين في وضع من يستطيع خلق شبكات متجاوزة للدول والقوميات ، وهو

^١ - ايمن حسن، هل بدأت امريكا عسكرة الفضاء، مجلة العربي- الكويت، العدد (٦٢٠) يوليو ٢٠١٠، ملحق العربي العلمي، ص: ٥.

^٢ - Nazli choucri, op. cit.p: 231

^٣ - Robert Mandel, global security Upheaval, California : Stand ford University press 2013 , p: 96

ما أدى الى مراكمة عناصر القوة التي حازها الافراد ، وهذا ما يستوجب على منظري العلاقات الدولية ، الاهتمام بشكل كبير بالفرد كمستوى تحليلي اكثر مما هو في النظرية التقليدية^(١) .
لقد اصبح الفاعلون من غير الدول ، يؤدون دوراً مؤثراً في سياسات الدول الامنية ، الداخلية والخارجية ، وهذا متأث من الفيض التقني المتطور للعلوم وما قدمته من تسهيلات في التشارك والتفاعل في رفق وتعزيز الاطار الاستراتيجي لبلدانهم ، الامر الذي يستوجب فهماً أعمق لسلوك الجماعات والفاعلين من غير الدول ، وعلاقة هذا السلوك بالاستقرار على المستويات الوطنية والعالمية^(٢) . دون ان ينسينا ذلك، ان هناك خطراً جسيماً قد يسببه الافراد حينما يسلكون مسلك التخريب والعنف والمشاكسة ضد البنى التحتية لأي بلد تحت هذه الحجة او تلك، دون ان يعفيهم ذلك السلوك من الملاحقة والعواقب إذا تم اكتشافهم . وهذا بدون شك يؤثر في العلاقات الدولية ، خشية انزلاق ما يحصل لتفجير حروب عسكرية في مناطق عدة ، بسبب غياب التفاهم المشترك والقواعد الضرورية لتنظيم هذه الانشطة وتوجهها بما يخدم الانسان ومشروعه الحياتي^(٣) .

لقد اصبح استقرار النظام الدولي اكثر اعتمادية على الممارسات التي يقوم بها الفاعلون، حتى ولو كانوا من الافراد من خلال الفضاء الالكتروني . وعليه فإن مفهومي "الاستمرارية والتلاقي" اصبحا حاكمين لتفاعلات النظام الدولي بعد صعود قوة الفضاء الالكتروني في فاعلياته. والمطلوب في هذا الجانب تدعيم هذين المبدئين، خاصة في حالة الدول النامية ، التي رغم دمجها في النظام المعلوماتي الكوني ، فإنها ماتزال تجد صعوبات وعقبات في الوصول الى المعلومات وتحويلها الى موارد قوة وفاعلية.

المحور الثالث :- التأثيرات والانعكاسات المتحصلة

منطقة الشرق الاوسط ، مهمة جداً في سلم الاستراتيجيات الدولية ، ليس الآن ، بل منذ ان اتخذ الصراع الدولي بين الدول قدرته على التأثير في المحيط الخارجي لسلطته . فهذه المنطقة

١ - د. حميد حمد السعدون ، الحرب ،....، مصدر سابق ، ص : ٤ .

٢ - Robert Mandel, op. cit, p: 129

٣ - د. حميد حمد السعدون ، الحرب ،....، مصدر سابق ، ص : ٥ .

كانت في تاريخها القديم ، مسرحاً لصراعات الاقوياء من الامبراطوريات والدول ، وبالشكل الذي جعلها كتلة ترجيحية لمن يستطيع ان يمسك بقلعها النشطة تأثيراً وفعلاً ، مما مكن القادر منهم ان يتسيد في زمانه. فهذه المنطقة بقدر اهميتها الجيو - استراتيجية ، فأنها بالقدر ذاته ، خزان العالم الكبير من الثروة النفطية التي يحتاجها الجميع الان وفي المستقبل ، فضلاً عن كونها منطقة مليئة بالعقائد والاديان والمذاهب والقوميات والطموحات والمطامع ، مما جعلها مرجحاً فواراً في كل وقت ، الامر الذي يمنحها التأثير بطريقة حاسمة في مجمل صراعات الاقوياء ، وهذا ما اضفى مستوىً عالياً من اشكال ادارة الصراع ومستوياته على الصعد كافة .

الشرق الاوسط والفضاء الالكتروني

تشهد منطقتنا العربية خصوصاً ومنطقة الشرق الاوسط بالشكل الاعم ، اندفاعات ومتباينات مختلفة ومتعددة ، تؤثر بشكل كبير في قراءة ما يحدث في المنطقة من تغييرات بعضها عميق وذو تأثير مستقبلي . وفيما يخص شكل التعامل مع دول المنطقة مع الفضاء الالكتروني فان الأمر اخذ مهمتين متقاطعتين مع بعضهما :

الاول : الرغبة الكبيرة في التعامل مع هذه التقنية وما تقدمه من خدمات لغرض التطور والتقدم ، والتعامل مع الجديد من العلم .

الثاني : تحصين الجدار الوطني من اشتباكات الاختراق والتسلل الذي يتعرض له دول المنطقة من دول ذات امكانات تقنية عالية بحكم الاختلاف السياسي المعبر عنه بسلوكيات سياسية مطبقة على الارض^(١).

ولقد تداخلت المهمتين مع بعضهما ، وبما يدفع الاضرار أو يقللها عن الاداء السياسي والاقتصادي والعسكري والعلمي لدول المنطقة ، مما استوجب اطارات متجددة لهذه الحرب التي تتطور اساليبها بشكل سريع ومتجدد ، لاسيما وان هذه المنطقة شهدت حروباً متعددة ، مما جعلها اشبه بالمختبر للجديد من هذا العلم . فقد اطلقت حرب عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ ، الثورة في التقانة العسكرية ، محدثة نتائج هائلة في مجرى الحروب وفي التوظيف الاستراتيجي للداعم

^١ - د. حميد حمد السعدون، التنمية السياسية والتحديث "العالم الثالث"، الذاكرة للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١١، ص: ١٣٦.

لسياسات الدول^(١) . ويشير احد القادة الميدانيين ممن اختبروا في ميدان المعركة في الشرق الاوسط الى ان عصر "الاختراقات في التقانة العالية تضاعف بسرعة... ومع نضج عصر المعرفة في العالم، صار مفهوم " فضاء المعركة حقيقة واقعية " ^(٢) .

ولأن الولايات المتحدة الامريكية، اكثر الدول المعنية بمنطقة الشرق الاوسط لثرواتها وموقعها الجيو-ستراتيجي، فضلاً عن حماية وأمن "اسرائيل" فقد دأبت على التداخل في كل شؤون المنطقة، تعويقاً وتعطيلاً واختراقاً، بل وفي شن الحروب اذا فشلت اساليبها الاخرى، مثلما حصل في عدوانها على العراق عام ٢٠٠٣ . فقد اوكلت الادارة السياسية العليا الامريكية " NSA مهمة الاطلالة الدقيقة على ما يحدث في المنطقة من تطور وتقدم في هذا الشأن، والتي تزايد اهتمامها بهذا النشاط في الجمع الاستخباري الامريكي بعد الحرب الباردة ، بسبب طبيعة التطورات التقنية والالكترونية التي باتت جزءاً اساسياً من مهام الوكالة التي تؤدي دوراً استراتيجياً في موضوع الأمن القومي الامريكي ، من خلال طبيعة ما يسمى بالارهاب الالكتروني القائم على اساس تشويش المعلومات والنظم التي تؤثر بشكل كبير على الانظمة المعلوماتية ، إذ ان اختراق بعض البيانات والقواعد المعلوماتية وافسادها ، يؤثر على الهيكل التنظيمي الذي تقوم عليه المؤسسات الامريكية في هذا الجانب ، مما يدعو الى توصيفه بالتهديد ، وهو ما يجعل من الوكالة ذات اهمية كبيرة في هذا الشأن ^(٣) .

فالمنطقة ومنذ انتهاء الحرب الباردة ، دخلت مرحلة الحرب الالكترونية ، التي دشنتها الولايات المتحدة اولاً ضد العراق في حرب عام ١٩٩١ ، ومن ثم في فترة الحصار التي امتدت اكثر من (١٢) عاماً والتي ادت فيها فرق التفتيش الدولية دوراً فاعلاً ومؤثراً في اختراق كامل المنظومة السيادية العراقية بتقنياتها المتطورة واجهزتها الحساسة والدقيقة . ومن ثم ننتها ضد ايران ،

¹ – Colin S.Gary, strategy for chaos : Revolutions in Military Affairs and the Evidence of History, with a Foreword by Williamson Murray, London, Portland OR : Frank cass 2003 , p: 192

^٢ – الجنرال تومي فرانكس، جندي امريكي، ط١، نقله الى العربية محمد محمود النويه، العبيكان، الرياض ٢٠٠٦، ص: ٢٣٩ .

^٣ – توماس كوبلاند " محرر " ثورة المعلومات والأمن القومي ، سلسلة دراسات عالمية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد (٤٦) ، ابوظبي ٢٠٠٣ ، ص : ٩٤ .

وبمعونة "اسرائيلية" واضحة، مما جعل من فضاء المنطقة مسرحاً لحروب إلكترونية متواصلة ومتجددة.

فهذه الحرب التي يراها البعض العاباً إلكترونية بين طرفين أو أكثر من خلال جهاز الفأرة "Mouse" باتت في الحقيقة أمراً واقعياً ولموساً لاسيماً بعد أن هجمت فيروسات أمثال "Stuxnet" و "Flem" على العديد من المصارف، ثم طالت منشآت نووية إيرانية وشركات نفط سعودية وقطرية^(١)، مما سبب أرباكاً وتعطيلاً وتلفاً لكل من طاله هذا الفيروس .

وفايروس " Stuxnet " قطعة من الرموز المؤذية الخبيثة بشكل لم يسبق له مثيل حيث بإمكانه شن الهجمات على ثلاث مراحل أو أطوار، ففي المرحلة الأولى يستهدف الآلات العاملة على نظام "Micro soft windos" وشبكاتها بحيث يدفعها أن تقوم بالتكرار لإعادة نسخ ذاتها ثم توجه إلى برنامج " 7 semens step " الذي أساسه " Windos " أيضاً والذي يستخدم نظم التحكم الصناعية البرمجية التي تشغل المعدات كاجهزة الطرد المركزي ثم يقوم أخيراً بالمساس بالمتحكمات المنطقية المبرمجة^(٢) .

بهذا التحكم التكاملي والمتبادل تمكن مخترعو هذا الفيروس من التجسس على المنظومات الصناعية، وحتى التسبب في جعل اجهزة الطرد المركزي سريعة الدوران، مما يدفعها أن تمزق ذاتها. حيث بمقدور هذا الفيروس الانتشار بخفة بين اجهزة الكمبيوتر التي تشغل " Windos " حتى ولو كانت غير موصولة بالانترنت، فاذا قام احد العمال بوضع شريحة " ups " داخل الة لاصحابها بعدوى هذا الفيروس مما مكنه من الانتشار داخلها، ومن ثم إلى الآلة التالية التي يمكنها قراءة ماهو موجود داخل شريحة " ups " . ولأنه بمقدور اي احد اصابة مثل هذه الآلات بهذه الوسيلة من دون اشارة اي شكوك أو شبهات فان امكانية انتشارها داخل الشبكات المحلية امر متاح وسريع التحقيق^(٣) وقد انتبهت ايران لامكانات الفضاء الإلكتروني

١ - ديانا مقلد، الحرب الإلكترونية.... جهة جديدة، صحيفة الشرق الأوسط. لندن، العدد (١٢٣٩٩) في ٢٠١٢/١١/٨ .

٢ - ستكسنت.... قصة الدودة الإلكترونية المخربة للمشروع النووي الإيراني، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، العدد (١٢٥٤١) في ٢٠١٣/٣/٣٠ .

٣ - المصدر السابق .

ووعت مخاطره واهميته عام ٢٠٠٩ حينما استخدم محتجون مراهضون للحكومة خدمة " الانترنت " لتنظيم الاحتجاجات ضد نتائج الانتخابات الرئاسية التي اوصلت " محمود احمدي نجاد " لسدة الرئاسة . ومنذ ذلك التاريخ اوكل للحرس الثوري الايراني مسؤولية هذا الامر من خلال مراقبة الانترنت وحجب بعض المواقع وتعطيل اخريات ، لاسيما وان الموارد المالية المخصصة لهذه الحرب كانت كبيرة وبدعم من اعلى السلطات .

ان الفضاء الالكتروني هو المجال الذي ستتحرك صوبه المواجهة . فظهران تجده حافظة اساسية في ترصين الامن الوطني ودفاع صد امام المتسللين على خصوصياتها ، لاسيما وان الطبيعة المتداولة عن النظام السياسي تركز الى السرية والتخفي والانكار عن كل ما يراه الاخرون تسلاً او تدخلاً او تعويقاً^(١) . ولذلك فقد باتت الاجراءات الايرانية في هذا الجانب متسارعة مع ماتتصف به من توحس وقلق وارتباب بما يحصل بالضد منها ، خشية انكشافها لخصومها .

اما اسرائيل ولكونها كياناً استيطانياً مزروعاً بالمنطقة على حساب شعوب اخرى ، مع ماتتصف به من عدوانية منفلة ، فانها تجد نفسها في حرب متعددة الاشكال مع المحيط العربي الاسلامي ، الامر الذي يدفعها ان تكون طرفاً فاعلاً في المبادرة لشل وتعطيل قدرات الاخريين المعادين لها . وقد اكد خبراء عالميون في مجال المعلوماتية بانهم يعتقدون ان الاستخبارات الامريكية وبالتعاون مع الاستخبارات الاسرائيلية هي التي طورت فيروسي " stuxnet " و " flem " واللذان هوجمت بهما ايران في الكثير من مفاصل شبكتها الوطنية ومواقعها الحساسة ، لاسيما العسكرية والنووية والنفطية ، وقال هؤلاء ان الفيروسات صارت اقوى سلاح في هذه الحرب التي اعلنتها الحكومة الامريكية ضد ايران . كما لم يعد سراً حجم وعمق التعاون الامريكي - الاسرائيلي في هذه الحرب لأن بعض الخصائص المشتركة بين " stuxnet " و " flem " توحي بان الدولة التي وراء " stuxnet " هي ايضاً وراء " flem " ، لأنه من الممكن استخدام فيروسين يعملان على البرنامج نفسه، لكن باستخدام نُججين مختلفين^(٢) .

١ - حميد حمد السعدون ، الحرب ، صدر سابق ، ص ٢ .

٢ - محمد علي صالح ، التحقيق مع جنرال امريكي متقاعد في قضية الحرب الالكترونية ضد ايران ، صحيفة الشرق الاوسط ، لندن ، العدد (١٢٦٣٢) في ٢٩/٦/٢٠١٣ .

وقد تبادلت الاطراف الداخلة في هذه الحرب ، انماطاً من الهجوم المضاد ضد بعضها ، حيث تعرضت الكثير من المواقع " الاسرائيلية " الالكترونية ، الى العديد من الهجمات المنسقة التي استهدفت تعطيل او اختراق الكثير من المؤسسات الرسمية الاسرائيلية رداً على ماكانت تقوم به من دفعات هجومية مصممة ضد الاطراف الاخرى ، وفي المقدمة من ذلك ايران ، وقد تبنت تلك الاختراقات مجموعة القرصنة الالكترونية " انونيموس " التي اشارت الى انها ستكرر محاولاتها في اي وقت تراه مناسباً للاختراق^(١) .

ان الحرب الالكترونية التي تمارسها " اسرائيل " ضد عموم بلدان المنطقة ، استهدفت حتى في جوانبها العسكرية بلداناً مثل " مصر ، سوريا ، الاردن ، العراق ، السعودية ، تركيا ، ... الخ " غايتها في ذلك تحصين قدراتها الالكترونية ، تحسباً من اي طارئ يعرض اوضاعها الى الخطر . وهي في هذا الاندفاع تطبق مايسمى بمفهوم الحرب الاستباقية ، مستندة في ذلك الى ما تتمتع به من قدرة علمية ومعلوماتية متقدمة قياساً الى ما يمتلكه الآخرون في المنطقة .

فاسرائيل ومعها الولايات المتحدة الامريكية ، تخشى من التقدم السريع الذي تحققه ايران والاطراف الشرق اوسطية الاخرى في مجال الحرب الالكترونية بشقيها الهجوم وال دفاعي ، ولذلك تجري مراقبة ما يحصل وتدقيق نتائجه بوصفه امراً أكثر من ضروري لها ، كونه يتيح الوصول الى مقاربات اقرب الى الدقة في قراءة ما يخطط بالضد منها . مع تقديرنا ان الجميع يفضل خيار المجاهمة الالكترونية كونها اقل تكلفة اقتصادياً وعسكرياً من الحرب التقليدية^(٢) .

ان الاطراف الداخلة في هذه اللعبة ، تدرك جيداً ان الحرب الالكترونية هي اشتباك غير معلن ، بل انها تجري بصمت وهدوء ، .. فلا جبهات معلنة ولا اطراف تتبنى الهجمات ، لأن ما يحصل لا تنظمه اتفاقيات معلنة او قواعد اشتباك جرى التعامل بها ، ولذلك ستظل هذه الحرب مستمرة ومتعددة الاغراض ، ما دامت برامج الاطراف الداخلة فيها مختلفة ، وما دام العلم يقدم من الادوات ما يحرض على الاستمرار بالمواصلة .

١ - اسرائيل تتعرض لهجوم الكتروني ، صحيفة المدى - بغداد ، العدد (٢٧٦٩) في ٨/٤/٢٠١٣ .

٢ - حسن مظفر الرزوي ، الجاهزية الالكترونية للبلدان العربية وانعكاساتها المحتملة على فرص تفعيل بيئة اقتصاد المعرفة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص : ٢١٦ .

كما ان القواعد الحاكمة في الفضاء الالكتروني، هي ابعد ماتكون عن الوضوح، بل ان مايحصل فيه اقرب الى الحرب الصامتة بين المتخاصمين، وهذا مايمنح اللاعبين فيه وفي مجاله، الانكار والنفي عن اية اضرار تقع على الطرف الآخر حتى وان كانت تمس الامن الوطني. مع تقديرنا، ان هذه التكنولوجيا تتجاوز الى حد بعيد المناقشات المفتوحة بشأن استخدامها باشكالها المعروفة، وحصول ذلك يتيح للدول في الوقت الراهن ان لاتضع على نفسها قيوداً كثيرة في الفضاء الالكتروني، وهذا امر يشكل خطورة كون تداعياته ونتائجه قد تفضي لنزاع يصل الى حد "الحرب" لكنها وللمفارقة حرب لاتعلن عن نفسها ونادراً ماتكون مرئية لكنها مستمرة بشكل فعال^(١).

يضاف الى ذلك ان هذه الحرب الصامتة والافتراضية تنطوي على درجة من الضغائن ومن انعدام في اخلاق النزاع، يشعر حيالها المرء بان الدول فيها تكشف عن ضغائنها على نحو اسهل، لعدم وجود حسيب او رقيب يسجل ذلك. فالقاتل الافتراضي كما الضحية الافتراضية هو مما لاتعلن عنه الدول، اي لا اعتراف بحجم الخسائر ولا رغبة في كشف النية، وفي ذلك مخاطر جمة على مستوى العلاقات الدولية والمجتمع الدولي، كون المهاجم والمتعرض للهجوم ادوات صماء، بامكانها ان تحرب وتدمر المقابل دون رادع من ضمير او اخلاق.

الخاتمة :

ان الفضاء الالكتروني قدرة مؤثرة وريخيسة الاستعمال، الامر الذي اتاح للجميع الاستفادة من وسائل الاتصال المتعددة لكسر احتكار النظام السياسي - اي نظام - لهذه الامكانية، وتوظيف ما يتحصل تحت يديها بما يديم زخم مطالبها وبما يحقق التغيير المنشود وهذا ما مارسته الدول المختلفة ضد بعضها، غايتها في ذلك الاطلالة الواسعة على ما يخطط وينفذ ضد سياساتها وبرامجها.

فالمواجهة الالكترونية وبحكم التطور الهائل في مجال الاتصالات والمواصلات وما يقدمه العلم من جديد، ستكون في قلب الكثير من النزاعات الدولية والمنافسات لسنوات قادمة، بل ان البعض من المهتمين في هذا الشأن يتخوفون ان تفسد النزاعات الالكترونية العلاقات الدولية

^١ - جمال سند السويدي، مصدر سابق، ص : ١١٤.

وتفجر حروباً عسكرية في مناطق عدة ، بسبب غياب التفاهم المشترك والقواعد الضرورية لتنظيم هذه الأنشطة بما يخدم الانسان ومشروعه الحياتي .

كما ان الولوج المتزايد للفضاء الالكتروني ، قد مكن اصواتاً جديدة من التواصل وان يكون لها موقع على الشبكات العالمية ، لاسيما وانها سهلت تطوير محتوى ومعرفة بشرية جديدة ووفرت ساحات جديدة لمطالب جماعية بحل ازيمات ومشكلات انسانية مشتركة من ناحية ، ومن ناحية اخرى ساعدت المؤسسات الدولية على الاستجابة لهذه الازيمات وتفحص محتوياتها ، بما يمكنها من ان تكون عنصراً فاعلاً" في الحل ام في التهدة.

ان اتساع استخدام الفضاء الالكتروني وهيمنته على التفاعلات الانسانية ، ستتعمق اكثر ، مما يدفع حقل نظرية العلاقات الدولية لمتابعة جديدة تستجيب للكثير من امال الشعوب ، وبما يمكنها من ان تكون قادرة على الاستجابة لفاعلية وحركية المجتمع الدولي والتكيف مع الجديد الذي يقدمه العلم والمعرفة توافقاً" مع رغبات الشعوب وامانيها .

The use of the electronic domain and its impact on the international relations: middle east as a case study

professor:
Hameed Hamad Al- Sa'adun

Abstract

The electronic domain is a new form of power which enables its user to use in the international relations in a way that garentees his interests and national security. It also makes him one of the main actors in the competative and conflicting community of nations, especially this domain is knoweledge that is not accessable except for the one who controlles it.